# الحداثة وأثرها في تعطيل مقاصد السنة النبوية

د. موسى عمر كيتا
تكر الحاج موسى



## ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز آثار حركة الحداثة/التنوير في تعطيل مقاصد السنة النبوية الشريفة، والتي يكفيها شرفا أنه لا إسلام بدونها، فمن ردها فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وقد جعل الله اتباع السنة شرطا لنيل حب الله وغفرانه، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وما كان هذا شأنه فحري أن يقدسه المسلم ويذب عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا. وتهدف هذه الدراسة أيضا إلى كشف ما تتعرض له السنة النبوية من الهجوم الشرس، من قبل أناس من بني جلدتنا، الذين انبهروا بالحضارة الغربية غثها وثمينها، فتلاعبوا بثوابت دينهم ومقدساته، وهم إذ يفعلون ذلك لا يكاد الواحد منهم يعرف من الذي يدفع أجرة الزمار فيما يقدم عليه؟!(كما ذكرت فرنسيس ستونر سوندرز في مؤلفها المعنون بـ"منيدفع أجرة الزمار"، مؤكدة دور وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في تمويل مثل تلك الحركات). فتعرضت مقاصد السنة النبوية للتعطيل المقصود من قبل الحداثيين ومناهج بحثهم في التعامل مع هذه المقاصد. فسعوا إلى صهر السنة ومقاصدها في بوتقة تاريخها القديم، فلم تعد -لديهم- صالحة لكل زمان ومكان. ودعوا إلى نبذ كل قديم، حتى ولو كان هذا القديم قرآنا كريما أو سنة ثابتة. ورأوا أن العقل البشري قادر في تنظيم حياة الناس سياسيا واجتماعيا. متذرعين إلى ذلك بفصل الدين عن السياسة والدولة، زاعمين أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما كانت ولايته على قومه ولاية روحية معنوية، لا ولاية مادية تصلح لتدبير مصالح الحياة وعمارة الأرض. فولايته لله وللدين، لا للدنيا وللناس. فسنة الرسول لديهم غير قادرة على إيجاد الحلول للقضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة. كما تمسك الحداثيونبحديث: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"[١]، كدليل على ترك العمل بالسنة الصحيحة في كثير من أمور السياسة والحكم، والاكتفاء بما تهواه أنفسهم.

---

١الحميدي، محمد بن فتوح. اللجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. تحقيق: د. علي حسين البواب. ط٢، (لبنان-بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ١٥٨/٤، رقم الحديث: ٢٣٨٩.

**المقدمة:**

الحمد لله القائل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[٢] سبحانه حذر من مخالفة أمر رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] ولقد تعرضت سنته صلى الله عليه وسلم للإساءة ممن ينتمون إلى الإسلام؛ انحرفوا عن الجادة، وأعجبوا بكل ما هو غربي، وسعوا إلى نشر ما لُقِّنُوا من الخارج. فلقد أثيرت اعتراضات كثيرة حول ثبوت ما دوِّن من السنن، وقدرتها على إيجاد حلول ناجحة للقضايا المعاصرة في مجالات شتى. وبعض هؤلاء الذين طعنوا السنة هم من بني جلدتنا "ممن انحرفوا عن الطريق القويم، وتنكروا لشريعة الله الصالحة لكل زمان ومكان؛ لتشربهم أفكار أعداء الأمة, فأخذوا يلهثون وراء الحضارة الغربية المادية التي لا تحكمها أصول ولا ضوابط، فنظروا إليها على أنها القادرة على تحقيق آمالهم وطموحاتهم، فتأثروا بكل إفرازاتها بما في ذلك مناهج البحث والتعامل مع نصوص القرآن والسنة..."[٤]فكانوا لا يرون لنص القرآن والسنة الصحيحة فضلا على كلام إنسان عادي، إذ الجميع يصح أن ينتقد، ويقبل ما يحقق آمالهم وطموحاتهم، ويرفض ما يتعارض مع عقولهم.

والحاصل أن الاتجاهات- تجاه قضية التنوير والحداثة- ثلاثة، اتجاه محافظ رفض الثقافات الغربية بكل أشكالها، لأنه يرى أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. أما الاتجاه الثاني فيرى أنه لن يستقيم أمر الأمة الإسلامية حتى تحتضن الحضارة الغربية؛ ففيها –فقط-أسباب التقدم والتمدن؛ فهؤلاء يرون أنه لا تتقدم الأمة الأمة الإسلامية إلا بتحقيق القطعية المعرفية مع تراثنا. والاتجاه الثالث هو المعتدل الذي جعل ثوابت دينه معيارا لمعرفة ما يأخذه أو يرده من الثقافات الوافدة، فيجمع بين الأصالة والمعاصرة مسترشدا بنور شريعة الله تعالى.[٥]وسبب وقوع الحداثيين المسلمين في خطأ أنسنة النصوص المقدسة هو جمعهم بين "الانبهار بالعقل الغربي ومنجزاته، وبين احتقار العقل العربي والتنكر لمنجزاته والتقليل الكامل من شأنها".[٦]وتهدف الدراسة إلى كشف أثر حركة الحداثة في تعطيل مقاصد السنة النبوية, والتي تتمثل في:

- تبليغ القرآن الكريم وتطبيق عملي له: (فرد السنة رد للقرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٧]﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٨]

---

٢سورة الحشر، الآية:٧.

٣سورة النور، الآية:٦٣.

٤عواد، إبراهيم بركات عيال. الحداثة وموقفها من متن الحديث النبوي "خليل عبد الكريم أنموذجا". دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد:٣٨، العدد:٢، ٢٠١١م. عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. ص:٥٨١.

٥ ينظر في : المقالح، عبد العزيز. أصوات من الزمن الجديد.دراسات في الأدب المعربي المعاصر. ط١، (بيروت: دار العودة، ١٩٨٠/٧/١٠م), ص: ٨٩-٩٠.

٦حمودة، عبد العزيز. المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية. عالم المعرفة:سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، (٢٧٢)، ص:٥٠-٥١.

٧سورة آل عمران، الآية:٣١.

- تمكين معنى الإيمان بالله تعالى وهجران الطواغيت بجميع أصنافها القديمة والمعاصرة.
- تطهير المجتمع وتزكيته؛ تزكية جسدية وروحية. (ويزكيهم...)
- شرح وبيان مجمل القرآن (كان خلقه القرآن).
- من مقاصد السنة النبوية: معرفة أخلاقة صلى الله عليه وسلم الأمر الذي ييسر الاقتداء به في أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم.

**أهداف البحث:**

يأمل الباحثان بنهاية هذا البحث أن يحققا الأهداف الآتية:

١. بيان خطورة مخالفة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنها وحي من الله تعالى غير متلو، إذ النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.
٢. تأكيد أهمية الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية، مع بيان حاجة الأمة إلى من يقومون به أحسن قيام مستوفين لشروطه عارفين ضوابطه ومجالاته.
٣. إثبات أن الحداثيين من المسلمين إنما يلقنهم الغرب كل ما يقولونه، فما هم إلا جسرا تعبر فوقه مؤامرات أعداء الإسلام والمسلمين.
٤. إبراز مواقفهم من سنته صلى الله عليه وسلم، مع تأكيد جرأتهم في طعن ونقد نصوص شرعية إذا ما حالت بينهم وبين ما تشتهيه أنفسهم.

وقد حرص الباحثان على اتخاذ قضية "الحرية"–بمفهومها الغربي- كنموذج يصول ويجول حوله الحداثيون. مع بيان نظرتهم التفكيكية إلى النصوص الشرعية التي جردوها من قدسيتها كي يتمكنوا من نقدها كما يحلو لهم وبلا رادع يحول بينهم وبين ذلك.

**خطة البحث:**

١ المقدمة .
٢ المطلب الأول: شرح مفردات العنوان: الحداثة والأثر والتعطيل والمقاصد والسنة.
٣ المطلب الثاني: الحداثة ملامح ودلالات.
٤ المطلب الثالث: أفكار ومعتقدات.
٥ المطلب الرابع: نماذج من أقوال الحداثيين المخالفة لروح الشريعة ومقاصدها.
٦ المطلب الخامس: صور مواقف الحداثيين من شخص النبي-صلى الله عليه وسلم- ومقاصد سنته الشريفة.
٧ الصورة الأولى: التشكيك في نبوته صلى الله عليه وسلم، وثبوت بعض الأحاديث

---

٨سورة النساء، الآية:٥٩.

الصحيحة أو تأويلها تأويلا باطلا.

٨ الصورة الثانية: فصل الدين (السنة) عن الدولة والسياسة.

الصورة الثالثة: حصر ولايته صلى الله عليه وسلم على قومه في الولايةالروحية.

الصورة الرابعة: نفي كون السنة مثل القرآن في وجوب الحكم ولزوم العمل بها.

٩ الصورة الخامسة: الدعوة إلى التقارب بين الأديان.

١٠ الخاتمة في أهم النتائج.

## المطلب الأول

## شرح مفردات العنوان: الحداثة والأثر والتعطيل والمقاصد والسنة

**الحداثة:**

الحداثة كمصلح عند دعاتها فهي: "اتجاه أو منزع ينتهي إلى قطيعةشاملة مع التراث، تنطوي على تحقير هذا التراث والتهوين من شأنه وقطع صلةالأمة بماضيها لتبدأ من الصفر وقد سلب منها كل مقومات هويتها، وتصبح مستعدةلأن تصاغ كما يريد الآخرون"، واختصر د. مصطفى حلمي معنى الحداثة في قوله: "نقدالمقدس وهدمه"، وعرفها د. إبراهيم الخولي بأنها: ضرب المقدس وطعن التراث يعني تمييع المواقفوعدم الاعتراف بكل ما هو ثابت.

أما محاولة البعض لدينا أن يلبسها ثوب التحديث زوراً فهو لون من الكذبوالتضليل؛ وفرق أي فرق بين التحديث "الأخذ بتقنيات العصر"، وبين الحداثةالتي تعني ضرب القيم وطعن المقدس الذي هو لون من الزندقة...[٩]

ومن التعريفات الشاملة للحداثة ما جاء في الموسوعة الميسرة من أن الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها.[١٠]

**الأثر:**

الأثر بقية الشيء، والجمع آثار وأثور... والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء والتأثير إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء ترك فيه أثرا.[١١] الفرق بين الاثر والعلامة: أن أثر الشئ يكون بعده، وعلامته تكون قبله، تقول: الغيوم والرياح علامات المطر، ومدافع السيول آثار المطر.[١٢]

---

٩ عبد الغني، وائل. سقطة الحداثة والخصوصية الغربية. مجلة البيان, (تصدر عن المنتدى الإسلامي)، العدد:١٩٠, ص:٤٦.

١٠ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. (الندوة العالمية للشباب الإسلامي). إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. ط٤، (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ)، ٨٦٧/٢.

١١ ابن منظور. لسان العرب. ٥/٤، مادة "أثر".

**التعطيل:**

أما التعطيل فمن قولك: عَطَّل يُعطِّل تعطيلا، يقال: عطّلت الرعية إذا لم يكن لها والٍ يسوسها، فهم معطلون، وقد عُطِّلوا: أي أُهْمِلوا. وإبل معطلَة لا راعي لها. والمعطل: الموات من الأرض. وإذا ترك الثغر بلا حام يحميه فقد عطل، والمواشي إذا أهملت بلا راع فقد عطلت، والتعطيل: التفريغ، وعطل الدار أخلاها، وكل ما ترك ضياعامعطل.[١٣]

**السنة:**

السنة في اللغة تعني الطريق وما سنه أوائل الناس وسار من بعدهم عليه، ومنه يقال: سَنَّ فلان طريقا من الخير يَسُنّه: إذا ابتدأ أمراً من البرّ لم يعرفه قومه، فاستنوا به وسلكوه.

جاء مختار الصحاح يقال: استقام فلان على سنن واحد، ويقال: امض على سَنَنِكَ و سُنَنِكَ، أي على وجهك، وتنح عن سَنَنِ الطريق وسُنَنِهِ وسِنَنِهِ ثلاث لغات، والسُّنَّةُ السيرة.[١٤] فالسنة: الطريقة ومنها الحديث في مجوس هَجَر سُنُّوا بهم سُنّة أهل الكتاب أي اسلكُوا بِهِم طريقَهم يعني عامِلوهم معاملة هؤلاء في إعطاء الأمان بأخْذ الجِزْية منهموسَنَنُ الطريق مُعْظَمُه ووَسطُه وقوله فمرَّ السهمُ في سَنَنه أي في طريقه مستقيماً كما هو لم يتغيّر أي لميرجع عن وجهه.[١٥]

والسنة في الشريعة: هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض وجوب، فالسنة ما واظب النبي ص - عليها مع الترك أحيانا، فإن كانت المواظبة المذكورة على سبيل العبادة فسنن الهدى، وإن كانت على سبيل العادة فسنن الزوائد. فسنة الهدى ما يكون إقامتها تكميلا للدين، وهي التي تتعلق بتركها كراهة أو إساءة. وسنة الزوائد هي التي أخذها هدى أي إقامتها حسنة ولا يتعلق بتركها كراهة ولا إساءة كسير النبي صلى الله عليه وسلم - في قيامه وقعوده ولباسه وأكله. وهي مشترك بين ما صدر عن النبي ص - من قول أو فعل أو تقرير وبين ما واظب النبي صلى الله عليه وسلم -عليه بلا وجوب وهي نوعان:

سنة هدى ويقال لها السنة المؤكدة: كالأذان والإقامة والسنن والرواتب والمضمضة والاستنشاق على رأي وحكمه كالواجب المطالبة في الدنيا إلا أن تاركه يعاقب وتاركها لا يعاقب.

وسنن الزوائد: كأذان المنفرد والسواك والأفعال المعهودة في الصلاة وفي خارجها وتاركها غير معاقب.[١٦]

---

١٢ بيات، بيت الله. معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب ابي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري. تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة. ط١، (قم المقدسة: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين)، ص:١٥.

١٣ابن منظور. المرجع السابق. ٤٥٣/١١، مادة "عطل".

١٤ عبدالقادر الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح. تحقيق : محمود خاطر. (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ص:٣٢٦, باب السين.

١٥ ابن المطرز، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد. المغرب في ترتيب المعرب. تحقيق : محمود فاخوري و عبدالحميد مختار. ط١، (حلب: مكتبة أسامة بن زيد، ١٩٧٩ م)، ٤١٧/١-٤١٨. (السين مع النون).

١٦الجرجاني، علي بن محمد بن علي. التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، ص:١٦١-١٦٢.

ولقد تحدد مفهوم السنة بعد أن استقرت المصطلحات في أبواب الفقه وأصوله وعلم الحديث، وسار العلماء عليها في ثنايا مؤلفاتهم:

فالسنة عند علماء الحديث: هي كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، سواء أدل ذلك على حكم شرعي أم لا.

وعند علماء أصول الفقه: هي كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلًا لحكم شرعي، أما السنة عند علماء الفقه هي كل ما ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم.[١٧]

## المطلب الثاني

## الحداثة في سطور

يكتفي الباحثان بالإشارة إلى أبرز شخصيات الحداثة ومعتقدات متبنيها، كي يدرك القارئ أن ما يقال عن الحداثيين ليس مبالغا فيه، فما ظهر من مخططاتهم الهادفة إلى هدم مقومات الإسلام أقل مما خفي، وما حققوه دون ما يأملون، وذلك نتيجة لجهود علماء ربانيين كرسوا حياتهم من أجل الذب عن هذا الدين، فطوبى لمن بذل أغلى ما يملكه من أجل نصرة هذا الدين قرآنا وسنة.

**ظهور الحداثة:**

أما عن تاريخ ظهورها فإنه يصعب تحديد ذلك، للصلة القوية بينها وكل حركة مناوئة لشريعة الله تعالى، فالأسماء متعددة والدوافع واحدة، والأهداف منصبة في خانة واحدة, والأمور بمقاصدها. لذا يعتبر ما يقال من أن الحداثة ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي أو قبل ذلك أو بعده بقليل إنما هو باعتبار ظهورها في ثوبها الجديد. وعلى هذا المعنى يحمل ما ورد في الموسوعة الميسرة من أن الحداثة بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً في باريس على يد كثير من الأدباء السرياليين والرمزيين والماركسيين والفوضويين والعبثيين، ولقي استجابة لدى الأدباء الماديين والعلمانيين والملحدين في الشرق والغرب. حتى وصل إلى شرقنا الإسلامي والعربي.

رموز الحداثة من الغربيين:

- شارل بودلير ١٨٢١ - ١٨٦٧م ... ويعد شارل بودلير مؤسس الحداثة في العالم الغربي.

- الأديب الفرنسي غوستاف فلوبير ١٨٢١ - ١٨٨٠م.

- مالا راميه ١٨٤٢ - ١٨٩٨م وهو شاعر فرنسي ويعد أيضاً من رموز المذهب الرمزي.

- الأديب الروسي مايكوفسكي، الذي نادى بنبذ الماضي والاندفاع نحو المستقبل.

رموز الحداثة في البلاد الإسلامية:

---

١٧ عبد المطلب, رفعت بن فوزي. توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته.ط١، (مكتبة الخنانجي بمصر)، ص:١٧.

- يوسف الخال - الشاعر النصراني وهو سوري الأصل رئيس تحرير مجلة شعر الحداثية.

- أدونيس (علي أحمد سعيد) نصيري سوري، ويعد المُروِّج الأول لمذهب الحداثة في البلاد العربية...

- د. عبد العزيز المقالح، وهو كاتب وشاعر يماني.

- عبد الله العروي - ماركسي مغربي.

- محمد عابد الجابري مغربي.

- الشاعر العراقي الماركسي عبد الوهاب البياتي.

- الشاعر الفلسطيني محمود درويش - عضو الحزب الشيوعي الإسرائيلي أثناء إقامته بفلسطين المحتلة.

- محمد أركون، والشاعر المصري صلاح عبد الصبور - مؤلف مسرحية الحلاج.[١٨]

## المطلب الثالث

## أفكار ومعتقدات

إن الحداثيين يهدفون إلى فصل الحياة عن الدين أيا كان هذا الدين، والله تعالى يقول ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾. ولكن الواقع يثبت أنهم إنما يدعون إلى دين يرضونه، فهم كما قال سعيد بن ناصر الغامدي: "الحداثة ليست فقط لا دين لها، بل هي تتدين بهدم دين الإسلام ومناقضة وهدم أصوله ومحاربته بكل الوسائل الدنسة الخبيثة، إنها امتداد لا ريب فيه للجاهلية الأولى، ولكن بأسلوب حديث..."[١٩]

فالحداثة إذًا لفظة تدل على مذهب فكري جديد يحمل جذوره وأصوله من الغرب، بعيدا عن حياة المسلمين، بعيدا عن حقيقة دينهم، ونهج حياتهم في ظلال الإيمان، والخشوع للخالق الرحمن.٢٠ إنها حركة لها أفكارها ومعتقداتها، تناضل من أجلها، ترضى وتبغض لها، توالي من قَبِلَ دعوتهم وتتبرأ ممن لم يؤمن بها، وهذا شأن كل متدين بدين من الأديان، فهم إنما فروا من دين الله تعالى إلى دين من صنع البشر، لذا تجدهم دائما يدعون إلى ضرورة تفكيك المقدسات ونقدها كشرط من شرط التحرر من أغلالها التي طالما كبّلت الناس على مر العصور حسب زعمهم. فهي نتيجة للتيه الذي دخلته أوروبا، كما قال د.عدنان علي رضا النحوي:

---

١٨ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. المرجع السابق.٢/٨٦٧-٨٦٨.

١٩الغامدي، سعيد بن ناصر. الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: دراسة نقدية شرعية. ط١، (جدة: دار الأندلس الخضراء،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ص:١٢٢٩.

٢٠ ( الحداثة في منظور إيماني ص:٢٢).

"لقد ظهرت الحداثة في العالم الغربي امتدادا طبيعيا للتيه الذي دخلته أوروبا منذ العصور الوثنية عند اليونان والرومان، امتدادا إلى عصر الظلمات".[٢١]

وأكبر مظهر من مظاهر الحداثة يتمثل في الدعوة إلى التحرر من التراث، أيا كان هذا التراث. إنها ثورة عارمة على كل مقدس، يقول أدونيس في الثابت والمتحول: "المظهر الأول لهذه الثورة هو في التحرر من التقليد، سواء كانت هذه التقاليد عبادات أو عادات..."[٢٢] وقد أشار محمد عابد الجابري إلى كيفية التحرر من سلطة التراث علينا وكيف يمارس المرأ سلطته على هذا التراث، فذهب إلى أن ذلك إنما يكون بتفكيك هذا التراث أيا كان نوعه، ويقصد بالتفكيك: "تفكيك العلاقات الثابتة في بنية ما بهدف تحويلها إلى لا بنية، إلى مجرد تحولات. وهذا يندرج تحته، كما هو واضح، تحويل الثابت إلى متغير، والمطلق إلى نسبي، واللاتاريخي إلى تاريخي، واللازمني إلى زمني..."[٢٣]

وإنه ليهون الخطب بالنسبة لمن يطلع على من يقفون وراء هذه الحركة، فإنه إذا عرف السبب بطل العجب، فقد أثبتت الدراسة التي قامت بها "فرانسيس ستونر سوندرز" كما ذكر ذلك الدكتور عبد العزيز حمودة في المرايا المقعرة، وذلك في معرض إثبات وجود مؤامرة غربية موثوقة ضد الثقافات القومية، قال:

"في بداية ١٩٩٩ ظهرت في السوق دراسة مطولة لباحثة إنجليزية شابة تخرجت في جامعة أكسفورد قبل ذلك بأعوام قليلة جدا، هي "فرانسيس ستونر سوندرز"، نشر لها: من دفع أجرة العازف؟ Who Paid th Piper?: The CIA and the Cultural Cold War. وضخامة الدراسة وعدد الوثائق التي رجعت إليها الباحثة، وهي بالمئات...، وعدد اللقاءات التي عقدتها الباحثة الشابة مع الأطراف التي كانت تعرف بدور المخابرات الأمريكية والبريطانية في تمويل الأنشطة الثقافية في شتى أنحاء العالم، بما في ذلك الأنشطة الحداثية بالطبع،..."[٢٤].ومما أوردته الباحثة مما يؤكد ذلك، قولها:

There was a genuine community of interest and conviction between the Agency and those intellectuals who were hired, even if they didn`t know it, to fight the cultural Cold War.[25]

**ترجمة:**

(هناك مصالحمشتركة حقيقية وثقة بين الوكالة وأولئك المثقفين الذين تم تأجيرهم-حتى لو لم يكونوا يعرفون ذلك-، ليخوضوا معركة الحرب الثقافية الباردة).

---

٢١النحوي، عدنان علي رضا. الحداثة في منظور إيماني. ط٣، ( الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م)، ص:٢٦.

٢٢أدونيس. الثابت والمتحول. بحث في الإتباع والإبداع عند العرب. ط١، (بيروت: دار العودة، ١٩٧٨م)، ١٨٧/٣.

٢٣الجابري، محمد عابد. التراث والحداثة: دراسات ومناقشات. ط١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١م)، ص:٤٧-٤٨.

٢٤ حمودة، عبد العزيز. المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية. عالم المعرفة:سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، العدد:٢٧٢. جمادى الأولى ١٤٢٢هـ-أغسطس ٢٠٠١م ) ص:٧٣.

25FRANCES S. SAUNDERS. Who Paid the Piper? The CIA and the Cultural Cold War.Granta Publications, 2/3 Hanover Yard, London N1 8BE.First published in Great Britain by Granta Books 1999. The edition published by Granta Books 2000. Printed and bound in Great Britain by Mackays of Chatham plc.p.3

وبعد هذا العرض السريع لتاريخ تأسيس الحداثة ومعتقداتها، وبعد أن رأينا الصلة القوية بينها وجهات خارجية تساندها وتدعمها، بعد هذا كله أمكن للباحثان أن يتوصلا إلى أن الحداثة-غربية المنشأ-إنما تهدف إلى الآتي:

- رفض مصادر الدين، الكتاب والسنة والإجماع، وما صدر عنها من عقيدة إما صراحة أو ضمناً.
- رفض الشريعة وأحكامها كموجه للحياة البشرية.
- الدعوة إلى نقد النصوص الشرعية، والمناداة بتأويل جديد لها يتناسب والأفكار الحداثية.
- الدعوة إلى إنشاء فلسفات حديثة على أنقاض الدين.
- الثورة على جميع القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية الإنسانية، وحتى الاقتصادية والسياسية.

فهي بذلك تهدف إلى إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية، والنفاذ إلى أعماق الحياة...[٢٦]

## المطلب الرابع

## نماذج من أقوال الحداثيين المخالفة لروح الشريعة ومقاصدها

من يتتبع أقوال الحداثيين يدرك مدى بعدهم عن منهج الله تعالى، وبشاعة تفكيرهم، وكيف أنهم يدعون إلى نبذ الشريعة والاعتماد على العقل البشري، فهو الذي يصلح في تدبير وتنظيم أمور الناس، إذ الناس أدرى- في نظريتهم-بمصالحهم من غيرهم, وليكن هذا الغير خالقا لهم؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. ولهم أفكار شمئز منها قلوب الذين يقدرون الله حق قدره، منها ما يلي:

١. يقول محمد أركون: "كل من يقرأ كتاباتي يعرف أني حريص كل الحرص على نقد التراث المعرفي الإسلامي. منذ ثلاثين عاما وأنا أحاول انتهاك أطره التقليدية الموروثة ومواقعه الجامدة وتحديداته ومفاهيمه ورؤيته العامة للعالم والوجود. منذ ثلاثين عاما وأنا أحاول زحزحته عن مواقعه التقليدية الراسخة وتجاوز هذه المواقع بالذات لكي أفتح له آفاقا لم تكن في الحسبان، ولكي أخرجه من عزلته وانغلاقه الدوغمائي المزمن..كنت قد ألححت كثيرا فيما سبق على مدى حاجة المجتمعات الخاضعة للمرجعية المدعوة إسلامية إلى الدراسات التاريخية النقدية والتفكيكية".[٢٧]
٢. وقال أيضا: "فالبشر هم الذين يحكمون البشر في الواقع حتى ولو كانوا يتوهمون العكس... ولكن بما أن رجال الدين يرخون لحاهم وذقونهم فإنهم يُوهمون الناس بأن القدرة الإلهية

٢٦ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. (الندوة العالمية للشباب الإسلامي). إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. ط٤، (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ)، ٨٦٧/٢ بتصرف.

٢٧ أركون، محمد. قضايا في نقد العقل الديني؛ كيف نفهم الإسلام اليوم؟ ترجمة وتعليق: هاشم صالح. (بيروت: دار الطليعة)، ص:٥٠-٥١.

تحكم من خلالهم. ولكن الواقع غير ذلك. فهم بشر ويستخدمون التكتيكات البشرية والتقنيات السلطوية والمناورات السرية ذاتها التي يستخدمها أي حزب سياسي علماني..."[٢٨]

٣. قال محمد الشرفي: "إن الحروب التي شنها أبو بكر على المرتدين والتي وحّدت شبه الجزيرة العربية لم تسبقها مثيلات لها في عهد النبي، وهي تتعارض مع ما جاء في القرآن من إقرار لحرية المعتقد،كما أبرزنا من قبل، فكانت أساسا عملا سياسيا".[٢٩]

٤. قال محمد شحرور [٣٠]: لنضع الآن تعريفا معاصرا للسنة وهو: السنة هي منهج في تطبيق أحكام أم الكتاب بسهولة ويسر دون الخروج عن حدود الله في أمور الحدود, أو وضع حدود عرفية مرحلية في بقية الأمور, مع الأخذ بعين الاعتبار عالم الحقيقة "الزمان والمكان والشروط الموضوعية لتي تطبق فيها هذه الأحكام" معتمدين على قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[٣١] وقوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[٣٢].

٥. أما نبيل هلال هلال فيقول: "إنهم –أي المستضعفين- يقدسون ثوابت من تاريخهم وعاداتهم وتراثهم، ولا يناقشونها بل يتأسون بها وتنفعل بها ضمائرهم وإن خالفت عقولهم وعاكست آمالهم وطموحاتهم".[٣٣]

٦. قال رونهاليبر: "حاليا لا توجد أية سلطة وأي معيار "موضوعي" يتيح تحديد الإسلامي الحقيقي تحديدا منزها عن الخطأ. مما يعني أن جميع المشاكل اللاهوتية التي عالجها الأقدمون يجب أن يعاد طرحها وفحصها، نظرا للمتغيّرات المعرفية الراهنة."[٣٤]

٧. من كلام جبران خليل جبران حول النصوص المقدسة، وصفها بأنها:

٨. "ألفاظ رتبتها الأجيال الغابرة وهي قائمة بقوة الاستمرار لا بقوة الحقيقة،..والتمسك بهذه التقاليد موت والمتمسكون بها أموات، وعلى كل من يريد التحرر منها أن يتحول إلى حفار قبور، لكي يدفن أولا هذه التقاليد، كمقدمة ضرورية لتحرره...التمسك بالماضي عبودية عمياء، "وهي التي توثق حاضر الناس بماضي آبائهم" وتجعلهم يخضعون لتقاليد جدودهم بحيث يصبحون "أجسادا جديدة لأرواح عتيقة".[٣٥]

---

٢٨أركون، محمد. قضايا في نقد العقل الديني؛ كيف نفهم الإسلام اليوم؟ ترجمة وتعليق: هاشم صالح. (بيروت: دار الطليعة)، ص:٢٣٩-٢٤٠.

٢٩الشرفي، محمد. المرجع السابق. ص:١٦٨.

٣٠شحرور، محمد. الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة، ص:٥٤٩.

٣١سورة البقرة، الآية:١٨٥ .

٣٢سورة الحج، الآية:٧٨.

٣٣هلال، نبيل هلال. اعتقال العقل المسلم ودوره في انحطاط المسلمين. ص:٢٠.

٣٤هاليبر،رون. العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب "الجهود الفلسفية عند محمد أركون". ترجمة: جمال شحيد. ط١، (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م). ص:٤٣.

٣٥ أدونيس. الثابت والمتحول. بحث في الإتباع والإبداع عند العرب. ط١، (بيروت: دار العودة، ١٩٧٨م)، ١٨٧/٣ بتصرف يسير.

## المطلب الخامس

## صور مواقف الحداثيين من شخص النبي-صلى الله عليه وسلم- ومقاصد سنته الشريفة

دأب الحداثيون على تمجيد كل من تحرر من الدين، وانتقد المقدسات، واتخذ عقله مرشدا ودليلا إلى تمييز الحق من الباطل، فالعقل مقياس الأشياء كلها. أما من آمن بالرسل وما أوحي إليهم، وعتبر عقله تابعا وشرع الله متبوعا، عمل بكل ما جاء به الوحي وإن يدرك العقل حكمة من وراء هذل التشريع؛ فهذا عند الحداثيين مقيد ومكبّل بأغلال الدين والتقاليد الموروثة. لذا حتى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسلم من نقدهم، وفي الصور التالية يبين الباحثان مواقف دعاة الحداثة تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة.ويتجلى ذلك في الصور التالية:

**الصورة الأولى: التشكيك في نبوته صلى الله عليه وسلم،وثبوت بعض الأحاديث الصحيحة أو تأويلها تأويلا باطلا.**

ذهب بعض الحداثيون إلى كون نبوته صلى الله عليه وسلم مكتسبة, وهي دعوة إلى عدم تقديس ما اشتملت عليه من التشريعات والتوجيهات الربانية، قال معروف الرصافي تحت عنوان "محمد ينقاد إلى العاطفة، كان متفائلاً ومتشائما": "وهكذا كان محمد في بعض الأحيان ينقاد إلى العاطفة دون العقل، فيكون متفائلا أو متشائما". ثم استطرد قائلا:إن الغاية التي يرمي إليها محمد هي من الأمور التي لا يسعها عمر الإنسان-أن يكون مقدسا ومطاعا-...ولولا أن محمدا أراد أن يكون مقدسا ومطاعا عند أتباعه المسلمين لما رأيناه يتغاضى عنهم إذا رآهم يتبركون بنعليه، أو يبتدرون وضوءه، أو يتلفقون بصاقه، أو نحو ذلك مما يدل على أنه عندهم مقدس ومطاع.[٣٦]

وعلل كيفية حصول النبوة له صلى الله عليه وسلم بأنها نتيجة لخروجه على التقاليد السائدة في مجتمعه، فقال: قبل كل شيء يجب أن تعلم أن محمدا كان قبل النبوة خارجا على التقاليد الموروثة الكائنة عند قومه، لأنه كان–كما قلنا سابقا-ممن تغلب عقله الفطري على عقله المكتسب، وكل من كان كذلك مفكرا حر التفكير، لأن الإنسان لا يمنعه من التفكير في الأمور إلا التقاليد الموروثة والعادات المألوفة التي هو خاضع لها والتي منها تتكون له عقلية مكتسبة بها يتعقل الأمور حتى يكون بحيث لا يرى الأمر معقولا إلا إذا كان موافقا لتلك التقاليد وتلك العادات، فيكون حينئذ عقليته المكتسبة قد تغلبت على عقله الفطري ومنعته من التفكير في الأمور, ولله در أبي العلاء إذ قال:

**المرء ينكر ما لم تجر عادته  بمثله ثم يبغي الحوت في الغدر**

فمثل هذا لا يستطيع الخروج على التقاليد الموروثة بل يكون خاضعا لها دائما وأبدا.[٣٧]

أما تشكيكهم في ثبوت نسبة بعض الأحاديث إليه صلى الله عليه وسلم، فيظهر ذلك في الأحاديث الآتية:

٣٦الرصافي، معروف.كتاب الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس. ط١، (ألمانيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٢م)، ص:٤٢٥-٤٢٨.

٣٧الرصافي، معروف.كتاب الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس. ط١، (ألمانيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٢م)، ص:١٢٦.

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى اللهَ ورسولَه". فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتلقه؟ قال: "نعم"....[٣٨]

- عن البراء قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار، فأمَّر عليهم عبدَ الله بن عتيك، وكان أبو رافع يُؤْذي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم،....[٣٩]

- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفّر، فلما نزعه جاء رجل، فقال: إن ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة، فقال: "اقتلوه".[٤٠]

قال زكريا أوزون: يتضح تماما من الأحاديث الثلاثة الواردة سابقا أن الرسول الكريم قد أمر بالتصفية الجسدية للمعارضة الفكرية لله؛ وهو أمر لا يمكن قبول نسبته إلى المصطفى الذي أرسل رحمة للعالمين، والذي عفا عمن حاول قتله، فما بالنا بمن خالفه الرأي والرؤيا؟

لذلك فعلى كل مسلم حرٍ واع رفض نسب مثل تلك الأحاديث إلي الرسول الكريم، وهي تسيء إلى العروبة والإسلام معا، لأن من جرت تصفيتهم من العرب الذين افتخر بهم الرسول أو من أهل الكتاب الذين أمر الرسول باحترام شعائرهم ومعتقداتهم...فعلينا رفض قبولها كسنة نبوية في أيامنا المعاصرة واعتبارها حوادث تاريخية سياسية لا علاقة للدين الحنيف بها.[٤١]

**الصورة الثانية: تأويل بعض الأحاديث تاويلا يؤدي إلى إلغائها:**

ومثاله حديث "من بدل دينه فاقتلوه"، قال زكريا أوزون:الحديث يظهر بوضوح أن من يترك الإسلام ليعود إلى دينه السماوي الأصلي هو مرتد كافر يجب قتله تطبيقا لقضاء الله ورسوله-حسب وراية أبي موسى ومعاذ – وهو يؤكد أن الإسلام هو الدين المقبول فقط، وإذا كان الإمام البخاري يرى في ذلك الحديث تطبيقا لحكم المرتد في الإسلام عملا بما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "من بدل دينه فاقتلوه"، فإن ذلك كان يجب أن يطبق على اليهودي أولا لأنه بدل دينه إلى الإسلام حسب نص الحديث؛ حيث نلاحظ أن عبارة "من بدل دينه" عامة ولا تشمل المسلم فقط!![٤٢]

**الصورة الثالثة:حصر ولايته صلى الله عليه وسلم على قومه في الولايةالروحية.**

بنفيهم اشتمال السنة على مبادئ وقواعد نظام الحكم وتسييس أمر الرعية، يكونون قد ألغوا كمًّا هائلا من الأحاديث التي عالجت القضايا الاجتماعية والسياسية وغيرهما. والحيلة التي استخدموها في

---

٣٨البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح. تحقيق: محمد زهير بن ناص الناصر. باب الكذب في الحرب. ط١، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ٦٤/٤، رقم الحديث: ٣٠٣١.

٣٩البخاري، محمد بن إسماعيل. المرجع السابق. باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق. ٩١/٥، رقم الحديث: ٤٠٣٩.

٤٠البخاري، محمد بن إسماعيل. المرجع السابق. باب قتل الأسير وقتل الصبر. ٦٧/٤، رقم الحديث: ٣٠٤٤.

٤١أوزون، زكريا. جناية البخاري: إنقاذ الدين من إمام المحدثين. ط١، (بيروت-لبنان: رياض الريس للكتب والنشر، يناير ٢٠٠٤م)، ص:٦٢-٦٣ بتصرف يسير.

٤٢أوزون، زكريا. المرجع السابق. ص:٨٨.

تحقيق هذا الهدف هي حصر ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم على قومه في الولاية الروحية فحسب، يقول د. علي عبد الرزاق:

"ولاية الرسول على قومه ولاية روحية، منشؤها إيمان القلب وخضوعه خضوعا صادقا تاما يتبعه خضوع الجسم، و ولاية الحاكم ولاية مادية، تعتمد إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلوب اتصال. تلك ولاية هداية إلى الله وإرشاد إليه، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض. تلك للدين، وهذه للدنيا. تلك لله، وهذه للناس. تلك زعامة دينية، وهذه زعامة سياسية، ويا بعد ما بين السياسة والدين".[٤٣]

والحداثيون في حقيقة الأمر لا يرون قدرة الدين على حل مشاكل الناس، بل يعتقدون أن الدين هو سبب شقاء الناس على هذه البسيطة!!. جاء في كتاب "حرية الاعتقاد الديني":

"كنا، وكان الإنسان منذ القدم يجاري الطبيعة في جميع أحوالها وأطوارها متمتعا بما تودعه من الأسرار الكامنة والخفايا الغامضة...مرتاحا من عالم الأوهام من بعث ومعاد وجنة ونار أيبقى أم يفنى...ومنذ ذلك الحين أخذ التنازع بين البشر مأخذه فتأسست الأديان والمذاهب المختلفة في كل أمة من الأمم حسب حالاتها وأطوارها وتضارب البشر فيما بينهم على تلك الأوهام ولخيالات حتى سالت الدماء الغزيرة على وجه الأرض، واستثقلتهم على ظهرها, وقُيِّد الإنسان بأغلال من تقاليد سلبته راحلته وحريته فلا يقدر أن يعمل عملا يرتاح به في دنياه....ولقد صدق القائل:

**ولا تحسب مقال الرسل حقا ... ولكن قول زور سطروه**

**وكان النـــاس في عيش رغيد ... فجاءوا بالمحال فكدروه**

والقائل:

**إن الشـــــرائع بيننا إحَنٌ ... قد أودعتنا أفانين العداوات**

والقائل:

**إن هذه المذاهب أسباب ... لجلب الدنيا إلى الرؤساء**

وها أنا أذكر لك شيئا يسيرا من تلك الدماء العزيرة التي أريقت من جراء تلك الأوهام الدينية وباسم الدين وسببه....من ولادة المسيح إلى عام ٢٢٠ اضطهد بضعة آلاف من أتباعه على يد الرومان. ولاتسل عما أريق من الدماء في صدر الإسلام في الوقائع الخارجية كاليرموك والقادسية ووقعة نهاوند, والداخلية كوقعة الجمل وصفين الزاب والغزوات النبوية وحروب الردة وغيرها..[٤٤]

---

٤٣عبد الرزاق، علي. الإسلام وأصول الحكم. دراسة ووثائق: د. محمد عمارة. الطبعة العربية الجديدة، ٢٠٠٠. (بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ص:١٥٧.

٤٤حرية الاعتقاد الديني. تأليف: مجموعة كتاب. تصنيف وتقديم: محمد كامل خطيب. (مساجلات الإيمان والإلحاد منذ عصر النهضة إلى اليوم). ط١، (سوريا-دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ص:١٩٨-٢٠٠ بتصرف.

وقد أطلق الحداثيون فكر اتخاذ الإسلام مرجعية لمشروع النهضة المنشودة، واتخاذ الإسلام دينا ودولة ومنهاجا شاملا لكل مناحي العمران...أطلقوا على هذا الفكر صفة "الفكر الظلامي"، ودعوا إلى مواجهته بـ"فكر التنوير" ...[٤٥]

هذا، و كثيرا ما يذكر الحداثيون هذا لحديث لتبرير نظريتهم في فصلهم الدين عن السياسة والحكم، وأن الشارع سمح للناس أن يتولوا وضع قواعد ونظم يسير عليها الحاكم. صحيح أن قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -لا يكون حجة في الأمور الدنيوية لقوله _ عليه الصلاة والسلام -في قصة تلقيح النخل: "أنتم أعلم بأمور دنياكم"[٤٦]وكان - عليه السلام - يرى الرأي في الحروب فيراجعه فيه أصحابه - كما في غزوة بدر- فيترك رأيه ويعمل برأيهم،...[٤٧]

بيد أن الحداثيين إنما يتذرعون بمثل هذه الرواية ليأتوا بتشريعات من عند أنفسهم، يقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله:

"هذا الحديث مما طنطن به ملحدو مصر وصنائعُ أوربَّة فيها، من عبيد المستشرقين وتلامذة المبشرين، فجعلوه أصلًا يَحجّون به أهل السنّة وأنصارَها، وخدّامَ الشريعة وحماتها، إذا أرادوا أن يَنفوا شيئًا من السنّة، وأن يُنكروا شريعة من شرائع الإسلام، في المعاملات وشؤون الاجتماع وغيرها: يزعمون أنَّ هذه من شؤون الدنيا! يتمسّكون برواية أنس: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)؛ والله يعلم أنَّهم لا يؤمنون بأصل هذا الدين.. والحديث واضح صريح، لا يعارض نصًّا، ولا يدل على عدم الاحتجاج بالسنّة في كل شأن؛ لأنَّ رسول الله لا ينطق عن الهوى، فكلُّ ما جاء عنه فهو شرع وتشريع: (وإن تطيعوه تهتدوا)؛ وإنَّما كان في قصة تلقيح النخل، أن قال لهم: (ما أظنّ ذلك يغني شيئًا)، فهو لم يأمر ولم ينْه، ولم يخبر عن الله، ولم يسن في ذلك سنّة، حتى يُتوسّع في هذا المعنى إلى ما يُهدَم به أصلُ التشريع، بل ظنّ، ثم اعتذر عن ظنّه، قال: (فلا تؤاخذوني بالظنّ)؛ فأين هذا مما يرمي إليه أولئك!؟ هدانا الله وإيّاهم سواء السبيل".[٤٨]

**الصورة الرابعة: نفي كون السنة مثل القرآن في وجوب الحكم ولزوم العمل بها.**

قد يبدو لأول وهلة أنهم يعملون بأحكام بالقرآن ويحتكمون إليه، بينما لم يسلم القرآن الكريم من قراءتهم التفكيكية التي ينتقدون من خلالها كل نص مقدس. يقول أبو رية تعليقا على حديث: "ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه" وفي رواية: "ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه":

"وهذا الحديث من أغرب ما قذفته الرواية في سيلها! لأن النبي إذا كان قد أوتي مثل "الكتاب" أو "القرآن" فمعنى ذلك أنه قد أوتي ذلك ليكون تماما على القرآن وإكمالا له لبيان دينه وشريعته-وإذا كان الأمر كذلك فلِمَ لم يعن النبي بكتابة هذا "المثل" في حياته، عندما تلقاه عن ربه، كما عنى بكتابة

٤٥ ( الإسلام بين التنوير والتزوير محمد عمارة ص:١٢).

٤٦سبق تخريجه، ص:٢.

٤٧ عليان، رشدي. الإجماع في الشريعة الإسلامية. (الناشر: الجامعة الإسلامية، السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الأخرة ١٣٩٧هـ مايو - يونية ١٩٧٧ م)، ص:٦٦.

٤٨ ابن حنبل، أحمد بن محمد. المسند. شرحه وصنع فهارسه: أحمد محمد شاكر. ط٣، (مصر: دار المعارف)، ٢/٣٦٤-٣٦٥.

القرآن؟ ولم لم يجعل له كتّابا يقيدونه عند نزوله، كما جعل للقرآن كتّابا؟ ولم اقتصر في النهي عن كتابة غير القرآن وأغفل هذا المثل فقال: "لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن" ولم يقل- وغير ما أوتيته معه وهو "مثله!!".

وهنا يجوز لسائل أن يسأل:هل يصح أن يدع النبي نصف ما أوحاه الله إليه يغدو بين الأذهان بغير قيد، يمسكه هذا، وينساه ذاك، ويزيد فيه ذلك! مما يصيب غير المدون في كتاب محفوظ؟ وهل يكون الرسول بعمله هذا قد بلغ الرسالة على وجهها، وأدى الأمانة كاملة إلى أهلها!!....[٤٩].

**الصورة الخامسة: الدعوة إلى التقارب بين الأديان.**

ذلك أنك تجد الحداثيين يقللون من شأن الإسلام قرآنا وسنة في خطاباتهم، وهي مقدمة وتوطئة لأمر آخر؛ ألا وهو الاعتراف بجميع الأديان، فلكل فرد حق اختيار معبوده انطلاقا من مبدأ حرية الاعتقاد المزعومة. بيد أن اليهود والنصارى هم أصل من دعوا إلى مثل هذا الحوارو، وهم يقومون على نشر هذه الفكرة في العالم الإسلامي، وهم مدفوعون إلى بدوافع كثيرة منها:

١. إزاحة الدين الإسلامي أو تحريفه من طريق اليهودية والنصرانية في الوطن العربي....

٢. إذا لم تنجح محاولة الإزاحة يأتي دور التحريف للدين الإسلامي لإبعاده عن نقائه وصبغته التي أنزله الله عليها، فهم يقصدون بالحوار التقارب والتذويب بين ديانتهم والإسلام، فإذا لم يستطيعوا تحريفه اتجهوا إلى الإسلام وذوبان تعاليمه في الديانات المحرفة والأرضية والوضعية والوثنية.

٣. والحوار من وجهة نظر النصارى دعوة غير صريحة في ممارسة التنصير، فهم يريدون أن يقيموا جسرا من المودة والعلاقة الحميمة مع المسلمين، ثم ينفذوا من خلالها إلى بث الأفكار التنصيرية فيألفها المسلمون وبمرور الوقت تصبح هناك قابلية من عقول بعض المسلمين لها.

٤. والحوار من وجهة نظر اليهود يفيدهم في تطبيع العلاقات مع المسلمين، فبسبب تاريخهم الأسود ومجازرهم المأساوية, ومعاملاتهم العنصرية ينفر المسلم بطبعه من كل ما هو يهودي في التعامل أن يكسروا هذا الحاجز وتكون لهم السيطرة والنفوذ على منطقة الشرق الأوسط في كل مناحي الحياة المختلفة، ولن يتم ذلك إلا من خلال استغلال الحوار الموجه لتهيئة العقول المسلمة لقبول التطبيع.

٥. وقف انتشار المد الإسلامي في العالم الغربي...فاستطاعوا من خلال بث أفكارهم في عقول المسئولين في بلاد المسلمين أن يغيروا الأسماء الموحية بالجهاد في سبيل الله، فغيروا وزارة الجهادية إلى وزارة الحربية ثم إلى وزارة الدفاع...

---

٤٩أبو رية، محمود. أضواء على السنة المحمدية. ط٦، (القاهرة: دار المعارف)، ص:٢٥.

٦. خدمة الأقليات غير المسلمة في بلاد المسلمين: وذلك من خلال الاهتمام ببعض القضايا التي تخصهم فقط مثل حقوق الإنسان، الحريات، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، وضع الأقليات المسلمة في بلاد المسلمين، قضايا المرأة، وتعدد الزوجات.[٥٠] وهذا ما يظهر جليا في كتاب (المسيحية والإسلام في سياق الثقافة المعاصرة: قراءات متعلقة بالحوار بين الأديان من روسيا والشرق الأوسط) تحت عنوان: حوار الأديان: الخبرة التاريخية والأسس الرئيسة.[51]

**الخاتمة:**

يأمل الباحثان أن يكون ما سطراه كافيا للفت الأنظار إلى خطورة حركة الحداثة وأثرها السيء في تعطيل مقاصد السنة النبوية. وقد خلص الباحثان إلى النتائج التالية.

١. أن الحداثة حركة ذات صلة وثيقة بتيارات معادية للإسلام, ودعاتها علموا أو جهلوا إنما يعملون لصالح تلك الجهات.

٢. الحداثيون يقدسون العقل ونتاجه، أما الوحي فقابل للنقد والتمحيص.

٣. لا يرون دورا للنسة النبوية في إصلاح قواعد ونظم سياسة الدولة، بل العقل البشري هو المؤهل لإيجاد تلك القواعد المناسبة لطموحات البشر، وهكذا ضمرت السياسة الشرعية في ظل حكم الاستبداد والعَلْمَنة.

٤. وصلت الجرأة ببعضهم إلى حد التشكيك في نبوته صلى اللهل عليه وسلم, وذلك بالقول بأنه يميل إلى العاطفة في بعض تصرفاته، إضافة إلى كون سبب حصوله على النبوة هو تغلب عقله الفطري على المكتسب.



٥٠شاهين، أحمد عبد الهادي. الحوار بين الأديان تعايش لا تقارب. ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. ص:١٣.

[51]CHRISTIANITY AND ISLAM IN THE CONTEXT OF CONTEMPORARY CULTURE (Perspectives of Interfaith Dialogue from Russia and the Middle East).United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization.Section of Intercultural Dialogue.St. Petersburg Branch of the Russian Institute for Cultural Research & St. Joseph University in Beirut-Lebanon.St. Petersburg-Beirut "EIDOS" 2009. P.3

# المحور الثالث

## التحديات المعاصرة على أهل الحديث:

## رجالاً ومؤسسات